



أشكال نضال المرأة في الثورة التحريرية (1956-1962) "بشار نموذجاً".

ط.د: بلغازي سعاد

جامعة طاهري محمد بشار.

البريد الإلكتروني: souadbelghazi90@gmail.com

الملخص:

ساهمت المرأة بإقليم الساورة في مقاومة الإستعمار الفرنسي بمختلف الطرق والوسائل رغم طبيعة المنطقة الصحراوية وقلة الإمكانيات، ويبرز هذا إلى الدور الذي لعبته من خلال مشاركتها الفعالة التي أعطت دفعا قويا للثورة في المدن. حيث تحملت أعباءها وأسهمت بقوة في تقديم مختلف الخدمات التي كانت الثورة بأمرس الحاجة إليها، كما شكلت السند القوي للفتيات والمسلمين، فكان ذلك عنوانا لتضحياتها، وبروزا لشخصيتها مبرهنة في ذلك على قمة المسؤولية والوعي مما يعني أن المرأة الصحراوية قد تبنت أشكالا عديدة كمسبلة ومرشدة إجتماعية إلى ممرضة وطباخة تقدم مختلف المساعدات. وسأحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على جانب من جوانب دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية من خلال أشكال النضال التي تبنتها في هذه المنطقة.

Summary :

Women in the Saoura region have contributed to the struggle against French colonialism in various ways and means, despite the nature of the desert region and the lack of resources. This is highlighted by their active participation, which has given a powerful impetus to the revolution in the cities. It was the title of her sacrifice, and its character was demonstrated at the top of responsibility and awareness. This means that Saharan women have adopted many forms as spurs and social guides to a nurse and cook who provide various assistance. In this paper, I will try to highlight one aspect of the role of Algerian women in the editorial revolution through the forms of struggle they have embraced in this region.

Key words: The woman, liberation revolution, the struggle, the saoura region

مقدمة :

الكثير من الحقائق التاريخية تشهد كتاباتها بان المرأة بالجنوب الصحراوي لعبت دورا نضاليا أثناء الثورات والانتفاضات الشعبية ضد المستعمر منذ 1830. فقدر للمرأة الجزائرية في منطقة الساورة وبخصوص ولاية بشار أن تبرز في بعض فترات من التاريخ رغم الكبت والحرمان وحالة التدهور التي كانت تعاني منها خاصة في ظل الظروف التي تميزت بها المنطقة أين تتحكم سيادة القبيلة هذه الأخيرة كان لها رؤية خاصة ومميّزة للمرأة وذلك من خلال حصر دورها على ما هو متعارف عليه من عادات وتقاليد رغم هذه الأيديولوجيات المتعصبة كسرت بفعل انتشار الوعي الوطني وما يمليه الواجب الجهاد منذ اندلاع الثورة 1954 وشموليتها 1956 لتدخل المرأة في منطقة الساورة مرحلة جديدة من حياتها الروتينية وهي مرحلة الكفاح المسلح مقتحمة بذلك أدوارا مختلفة ومهمة وذلك على حسب طبيعة ومتطلبات المنطقة منذ توسعه بالولاية الخامسة التي اعتبرت نقطة الانطلاق في هذه المرحلة .

المجال الجغرافي لولاية بشار .

تقع مدينة بشار في أقصى الجنوب الغربي الجزائري على خط طول 4.6° غربا ودائرة عرض 31.6° شمالا في مجال جغرافي يمتد بين دلتا وادي زوزفانة شرقا ووادي قير غربا وتحده جبال الأطلس الصحراوي من الشمال 1 يحدها شمالا ولايتا النعامة والبيض، جنوبا ولايتا تندوف وأدارر وتحدها ولايتا ادرار شرقا ومملكة المغربية غربا على شريط حدودي طوله 600 كلم ، وهي بذلك تحتل المرتبة السادسة من حيث المساحة بالجزائر وتقدر مساحتها ب 161.400 كلم مربع . اما إداريا فتتقسم بشار لى 21 بلدية موزعة على 12 دائرة ².

إن وقوع المنطقة على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي جعل التضاريس العامة لجغرافية المنطقة خاصة الأجزاء الشمالية منها تشكل جزءا من كتلة الأطلس الصحراوي المعروف بـ جبال القصور والتي يعود أصلها إلى الزمن الجيولوجي الثاني وبذلك تعد من أقدم الأراضي.

فعلى الرغم من أن سطحها الطبيعي يغلب عليه طابع الرتبة والاستواء إلا أننا نجد بعض المرتفعات التي تتكون من هضاب لا يتجاوز متوسط ارتفاعها 600م وهي تتكون من تربة الطمي التي يرجع تاريخها إلى الزمن الجيولوجي الرابع حيث نجد قمتين متوازيتين تسمى الأولى برقة القنادسة والثانية برقة العقدة نسبة حمادة قير التي تمثل نهاية السلسلة³.

أما النوع الثاني من المرتفعات تمثله جبال التي تحيط بالمنطقة باتجاه أفقي من جنوبها الغربي إلى شمالها الشرقي ، وهي الجزء من سلسلة الأطلس الصحراوي نذكر منها جبل قروز وجبل عنتر وجبل بشار الذي يصل ارتفاعه إلى 1206م ، كما أن وقوع المنطقة في سفوح الأطلس جعلها تتموقع في مجال منحدر يستقطب المياه من المناطق الأكبر ارتفاعا ومن ثم قمم الجبال فهي تحتوي مخزونات هائلة من المياه الجوفية ومن قمم الجبال الأطلس ينبع وادي قير ووادي زوزفانة ويجريان جنوبا باتجاه الصحراء ، حيث يلتقي الواديان بمنطقة اقلي و يكونان معا وادي الساوره⁴. الذي يصب في رقان حيث يشكل الواديان عبر المراحل التاريخية للمنطقة المجال الحيوي الخصب لنشاط السكان ما جعل القبائل تتوافد على المنطقة ،إ هذا التنوع الطبيعي للمنطقة وإستراتيجية موقعها جعلها تمثل قاعدة خلفية للجهة الجنوبية في أقصى الصحراء على امتداد توات ورقان ودرع حماية لجهة الشمال الصحراوي.

الظروف العامة للمنطقة بشار إبان الثورة التحريرية :

عاشت المرأة الصحراوية بمنطقة بشار في أحياء شعبية فقيرة فاعائلة الواحدة منهم كانت تتكدس في غرفة واحدة رغم كثرة أفرادها وذلك لتعدد الزوجات لدى

القبائل المسيطرة مثل ذوي المنيع وأولاد جرير كما كانت تجمع هذه الغرفة مختلف الخدمات العائلة بإضافة إلى السياسة الاستعمارية التي كانت تهدف إلى تعميق الفوارق من خلال عدم توفير الكهرباء والمياه في معظم هذه المناطق خاصة الثورية منها ونتيجة لبعدها عن المدينة وتعهدا في عزلها لأنها أخضعت للتقسيم العسكري ، أما الجزء الآخر من السكان فيعيشون كغيرهم من المسلمين في أماكن مؤقتة هشة تسمى ألقري والأكواخ حيث تأوي هذه الأخيرة عشرة أفراد بنظام العائلة الكبرى⁵ ما يجعل عمل المرأة فيها صعب وشاق. فئة قليلة من كانت لهم مساكن مستقرة ودائمة وإن وجدت فهي بسيطة في تركيبها التي تتكون من الزنك والطين وبعضهم يقطنون بالخيام المتنقلة .

كما كانت المرأة في هذا المجتمع ونظامه تعاني من سياسة التمييز العنصري فحتى التعليم لا يحضون به فما بالكم أطفالهم ، أما الرعاية الصحية فهي غائبة تماما بحكم عدم توفر المرافق ما جعل المرأة هي من تتولى وبخبرتها المتواضعة تولي مهام التطبيب والتمريض والتوليد .

أما الحركة الإصلاحية لم تصل إلى هذه المنطقة بحكم البعد الجغرافي عن المدينة خاصة في بداية الاستعمار ما أدى إلى التخلف الفكري والتأويل الخاطئ للإسلام ما جعل المرأة فريسة سهلة للخرافات والبدع والشعوذة.⁶

إن هذه الظروف صنعت واقع جديد للمرأة البشارية ما جعلها في اتصال دائم ومستمر مع المسؤوليات خاصة بعد انتشار العمل المسلح في هذه المنطقة التي اعتبرت قاعدة خلفية للدعم اللوجستيكي في جنوب الغربي متخذة فيها المرأة مكانة النضال بمختلف الوسائل ومتبينة الجهاد بكل الطرق المتوفرة ما صعب عليها مهمة الرعاية داخل الأسرة وخارجها في ظل غياب الرجل لتخرج عن صمتها وترافق أخاها الرجل في الكفاح المسلح.

أشكال النضال عند المرأة البشارية .

لم تقف المرأة مكتوفة الأيدي أمام همجية الاستعمار الفرنسي بل ساهمت في الثورة بكل ما أوتيت من قوة منذ الشرارة الأولى للثورة أول نوفمبر 1954 فانبث جدارتها في عدة مجالات وعملت بدون كلل أو ملل حيث كانت في نظر الكثير مجرد متاع تابعة للرجل⁷ حيث مثلت منطقة بشار القسم الثالث من ولاية الخامسة ظل هذا التقسيم إلى غاية مؤتمر الصومام 1956 واستحداث المنطقة الثامنة أين فتح المجال أمام المرأة البشارية للمشاركة في الثورة وأسندت قيادة المنطقة إلى النقيب عقيد لطفي⁸

المرأة المسبلة :

إنّ هذه الوظيفة جعلت المرأة البشارية على أنّها مواطنة عادية غير متفرغة لنضال ومن كان يزاول هذا النوع من المهمة هم كبار السن في قبيلة وهي النظام الاجتماعي الذي يغذي المجتمع في منطقة ونذكر منهم المجاهدة المسبلة قويدري جمعة* من منطقة العبادلة جنوب بشار والتي كانت تزاول مهمتها في البدو كمرتحلة في صحراء بشار في كل من منطقة زوزفانة وواد كسيكسوا أين كانت معظم خيام قبيلة الأدارسة إضافة إلى حي الثورة ما يسمى cartier⁹.

حيث كانت هذه الوظيفة تقوم على أساس تقديم أعمال: الطبخ وإسعاف الجرحى وإرسال المؤونة من مياه وأكل وملبس وأغطية التي كانت تنسجها نساء القبيلة من صوف الإبل وكنظيرتها من المسبلات فهي يشترط فيها أن تتحلى بصفات وأخلاق حميدة مثل التزاهة والعفة والصبر والصرامة¹⁰ ، إن مهمة المسبلة وكلت بها نساء منطقة بشار اللاتي برهن على قدرتهن وكفاءتهن ونذكر منهم برقاي رقية وشطيط مباركة هذه الأخيرة التي استشهدت تحت تعذيب واعتداء الجنود الفرنسيين.

التعبئة الشعبية بالمنطقة الثامنة بشار وضواحيها :

في البداية دخلت المرأة البشارية معترك النشاط السياسي بفضل نساء الولاية الخامسة لكن بشكل ضئيل جدا وذلك نظرا لطبيعة المنطقة والبعد الجغرافي عن المدينة والظروف السابقة التي تطرقنا لها حيث جاء انضمام بعض نساء الولاية إلى العمل الثوري بصفة تلقائية ومن باب أحقية ووجوب الجهاد ، إضافة إلى أنها في البداية الأمر كانت مهمة تقتصر على الرجل في الأرياف لكن أعمالها وأشكال نضالها وتعاونها التي اثبتت أنها الدعامة الثانية التي تقف عليها الثورة .

جاءت الفرصة عند المرأة البشارية ابتداء من سنة 1955 من خلال تواصل مجاهدي الولاية الخامسة وسهرهم على استقطاب نساء جنوب لغرض تكوين خلايا وفروع خاصة بهن في منطقة حيث التحقت كل من النساء المتزوجات والأرامل والمطلقات اللاتي عرفن بوطينيتهن حيث كان الاتصال بين النساء من خلال استغلال منازلهن لتعليم الحرف التقليدية كا خياطة والطرز والطبخ والنسيج والصباغة¹¹ ما جعلها لا تثير الشبهة حول التجمعات السرية من أجل تحقيق التعبئة حيث كانت الانطلاقة من منازل بسيطة كأكوخ وخيام .

كما استهدفت النساء المكلفات بهذه المهام ومعظمهن خريجي الكشافة السلامية من الولاية الخامسة وكان منهم النموذج محمد بوراس حيث كان لنساء القبيلة دور في التوعية واستقطاب عدد كبير من النساء اللواتي كن كثيرات الخروج بسبب عملهن أو مسؤوليتهن وذلك حتى لا يثرن الشكوك حول تحركاتهن وهذا راجع الى طبيعة الولاية التي كانت تمثل مجتمعا محافظا لا يسمح للمرأة بالخروج إلا للضرورة حيث أخذن هذه الأفكار من مجاهدة خيرة الراحلة والملقبة ب عربية من ولاية الخامسة من منطقة سيدي بلعباس والتي كان لها الفضل الكبير في توعية نساء ولاية الثامنة حيث كانت تقوم بالتجمعات في الحمامات والأعراس والحفلات الختان ومختلف المناسبات¹² .

إن كل هذه الأعمال التي قامت بها المرأة الصحراوية عامة والبشارية خاصة كان يضل التواصل المستمر بين المدن والأرياف وهذا ما جعل مؤتمر الصومام يشيد بعملهن الذي شمل مختلف الخدمات النضالية فانتقلت من الطبخ وإيواء والتمريض وجمع الاشتراكات إلى تموين وتمويل الثورة وفق المستجدات التي نظمها ونسقها المؤتمر .

التموين والتمويل :

لنجاح أي ثورة كان يتوجب عليها إن توفر التموين والتمويل لحيووشها خاصة بعد شموليتها بكون الثورة الجزائرية قد اعتمدت على اعتمادا كليا على الشعب الجزائري لتموين لجيش تحرير مرهنة بذلك على مقولة القوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب حيث اقبلن على الجهاد دون جبر ما مكهن من تقسيم مصادر التمويل والمتمثلة في جمع التبرعات والاشتراكات والصدقات والحبوس والمتمثلة في أموال الزكاة .

لقد كان بيت المرأة الجزائرية مأوى للمجاهدين الذين كانوا يستعملونه كمركز لاجتماعات ومكان للراحة من معركة أو للتجمع بغية التحضير لعملية فدائية او لدراسة الأوضاع وإمكانيات المنطقة كما ان المرأة البشارية لم تبقى مكتوفة الأيدي بالقواعد الخلفية للثورة خاصة جهة المغرب الأقصى تلتقي حدود الولاية بالدولة المغربية حيث مثلت تهديدا للتواجد الاستعماري بما حيث اهتمت المرأة بأكل الجنود وملبسهم وغسل ملابسهم والسهر على راحتهم وخياطة بدلتهم العسكرية¹³ وهذا ما تؤكد المجاهدة سهلي فاطمة ولقد "عاهد زوجي الشهيد بن عياد بوزيان الذي احفاده استقروا بولاية بشار على فداء الثورة بالمال والنفس والأولاد حيث قمنا بتموين الثورة الى إن نفذت كل ثرواتنا ومدخراتنا". وما تزال منطقة بشار شاهدة على كفاحها في جنان وادي وهو في ندخل مدينة بشار الجديد كما يسمى بيداندوا .

المرأة الفدائية في الريف الصحراوي :

المرأة الفدائية يمكن تعريف المرأة الفدائية بأنها مجاهدة تتطوع للموت وتعرض نفسها للمخاطر ترتدي ملابس عادية وغير مثيرة للفت الأنظار وشكوك من حولها وحول صديقاتها وفي كثير من الأحيان كانت تجمع المرأة بين الفدائية والمسبلة في نفس الوقت حيث كانت تأتي للفدائيين بأداة للقتل مثل المسدس ،السكين ، قنبلة ، منجل ، الفأس ¹⁴ وتعطيه له وتبقى في انتظاره لينهي العملية ويعيدها إليها فتضعها أما تحت لحافها أو إزارها المنتفخ وهو لباس تقليدي مشهور في ولاية بشار وتغادر المكان دون إثارة الشكوك وبكل ثقة وهذا ما تؤكده المسبلة بيار العالية من مدينة بشار المنطقة الثامنة فتقول " كنت اذهب إلى عدة مناطق من بشار لأوصل السلاح للفدائيين وانتظرهم حتى ينهوا العملية الفدائية لأخذ السلاح واذهب به إلى مجموعة أخرى فدائية لتقوم بعملية أخرى في مكان آخر وهذا نظرا لقلّة السلاح في المنطقة كما كانت المرأة تقوم بحراسة الفدائيين أثناء قيامهم بعملياتهم فإذا لاحظت حركة غير عادية لأحد الجنود الفرنسيين آت تخبر الفدائيين بتلويع لهم بأيديهم أو تلمس شعرها وتقوم بعرقلة الجندي وذلك بإغرائه حتى يتسنى لهم الهروب ¹⁵.

حيث كان يشرك الفدائي أخواته وقريباته في عملياتهم الفدائية لإنجاح المهمة ففي منطقتي بشار قد جند الفدائي زاوي ذياب أمه جلولي فاطنة وزوجته يوسف عائشة وشقيقته زاوي ربيعة وابنة عمه زاوي خيرة وكذا أخريات من قبيلته وذلك لتقته في وطنيتهن وشجاعتهم أمثال ربيع مباركة وبيار العالية وبلغيت فاطنة تمثلت مهمتهن في حمل السلاح حيث يقمن بمراقبة تحركات العدو في وسطهن رجال فدائيون يرتدون حايك فيهمون السلطات الفرنسية أنهن كلهن نساء ¹⁶

خاتمة :

وكخلاصة لهذه المعطيات يمكننا ان نقول ان المرأة الصحراوية قد اوضحت مساهمة المرأة بشارية بداية من الولاية الخامسة إلى المنطقة الثامنة رغم صعوبات التي كانت تتصف بها المنطقة طبيعيا واجتماعيا حتى اقتصاديا والتي حفزت المرأة على ضرورة تبني النضال المسلح بكل إشكاله ،مبرهنة على قمة الوطنية والوفاء للوطن وذلك بلم شمل الجزائر من الشمال إلى الجنوب .وتبقى المرأة الجزائرية أول حجرة تضعها الأمة لبناء حريتها لأنها التربة التي ينبت الشعب كله منها لأنها شريكة الرجل في مكافحة الحياة .

الهوامش :

- 1- Céard ,L-Gens et choses de Colomb Bechar Archives Institut Pasteur d'Algérie .Tome11, N01, Alger, mars1933p. 47.
- 2- مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية ،مونوغرافية ولاية بشار،مديرية التخطيط والتعمير والتهيئة العمرانية ،فيفري. 2001، بشار ،الجزائر ،ص7.
- 3- برشان محمد،الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار (1962/1903)،رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة وهران 2013/2012
4. Céard , op .cit ,P51 -
- 5- الشلي أمال،التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة باتنة ،2005.
- 6- قويدري جمعة،مقابلة شخصية بمقر سكنها بحي الأمير عبد القادر،العبادلة ،ولاية بشار ،يوم 2014/08/23 على الساعة 10:30 صباحا من أجل البحث حول المجتمع القبلي .
- 7- بوصفصاف عبد الكريم وآخرون ،القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954-1962):المرأة الجزائرية قيمة من قيم الثورة التحريرية،ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية الفلسفية ،جامعة منتوري قسنطينة ،28 أفريل 2003، ص05.

- 8- عيسى بن جلول الزاوي، من نشاط الفدائي أثناء الثورة التحرير الوطني ببشار وضواحيها بقيادة الشهيد زاوي محمد المدعو ذياب، دار الغرب للنشر والتوزيع الجزائر، 2010، ص39.
- 9- سعيدي حدوا، مقابلة شخصية بمقر سكنها حي الأمير عبد القادر، العبادلة، ولاية بشار، يوم 2021/07/15 على الساعة 06:30 مساء .
- 10- حفظ الله بوبكر، مساهمة المرأة الجزائرية في الجانب العسكري والاجتماعي، الملتقى الدولي حول دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، سكيكدة 25-26 أكتوبر 2010 ص51.
- 11- ياقوتة كرنان، ثورة نوفمبر 1954 والثورة الجزائرية (ع،66)، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، الجزائر 1984، ص60.
- 12- يحيوي مسعودة وآخرون، دور المرأة في الثورة التحريرية، منشورات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 2007، ص162.
- 13- بكرادة جازية، دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بولاية الخامسة (1954-1962)، رسالة دكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة تلمسان 2016/2017. ص12.
- 14- كركب عبد الحق، المنطقة الخامسة من الولاية الخامسة ودورها في الثورة التحريرية ،رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، 2009/2010 ص146 .
- 15- بيار العالية، الملتقى الوطني حول الثورة التحريرية بالولاية الخامسة ، وهران يومي 21-22 ماي 2005.
- 16- عيسى الزاوي بن جلول، المرجع السابق، صص39-43.